

أثر كتاب جامع الأمهات لابن الحاجب في خدمة المذهب المالكي وتطوره

*Jami' al-Ummat Ibn al-Hajeb in the service of The effect of the book the
Maliki school of thought and its development*

أ.د/ علي ميهوبي

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة (الجزائر)
mihoubi2010@hotmail.fr

ط.د/ ياسين زغدود*

مخبر الدراسات الشرعية، جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة (الجزائر)
y.zaghdoud@univ-emir.dz

تاريخ النشر: 2022/03/15

تاريخ القبول: 2022/02/13

تاريخ الاستلام: 2022/01/13



ملخص: قدّم ابن الحاجب خدمة جليلة للفقه المالكي بتأليفه كتاب جامع الأمهات الذي يُعد عصارة جهده بعد أن نضج الفقه المالكي واستوى عنده، وقد أصبح كتاب ابن الحاجب أكثر الكتب الفقهية اعتماداً عند المالكية منذ تأليفه إلى ما بعد ظهور مختصر خليل، وعلى هذا الأساس فقد نال الكتاب مكانة مرموقة ومنزلة عالية عند أهل المذهب.

فجاء هذا البحث ليكشف عن شخصية ابن الحاجب المتميزة ويبرز إسهاماتها في نصرة المذهب المالكي وخدمته له، وذلك من خلال كتابه القيم جامع الأمهات.

كما توصل البحث إلى أن كتاب جامع الأمهات أسهم بشكل واضح وجلي في تكملة بناء صرح المذهب المالكي تأصيلاً وتفريعاً واجتهاداً، وترك آثاراً بارزة في خدمة المذهب.

الكلمات المفتاحية: ابن الحاجب؛ جامع الأمهات؛ أثر؛ خدمة؛ تطور؛ المذهب المالكي.

Abstract : Ibn al-Hajeb rendered a great service to the Maliki Fikh by authoring the book “Jami’ al-Ummat” which is considered the juice of his effort after spending years studying the Maliki Fikh, Ibn al-Hajib's book has become the most trusted jurisprudential book for the Malikis from its authorship until the appearance of the book entitled “Mukhtasar Khalil”. Therefore, the book won a prestigious position and a high value among the members of the sect. Hence, the aim from this research is to shed light on the distinguished personality of Ibn al-Hajeb and highlight his contributions in supporting and serving the Maliki school of thought through his valuable book “Jami’ al-Ummat”. The research concluded that the book “Jami’ al-Ummat” contributed clearly and explicitly to the completion of the building of the Maliki school edifice through rooting, branching and Ijtihad. It has also left prominent traces in the service of the Maliki doctrine.

Keywords: Ibn al-Hajeb; Jami’ al-Ummat; Effect; Service; Evolution; The Maliki school of thought.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

يعتقد كثير من فقهاء المالكية أن ابن الحاجب يُعدّ نقطة تحوّل في المذهب المالكي، إذ بظهوره ظهرت مرحلة جديدة في المذهب، وبدأ دور جديد يُعرف بدور الاستقرار فيه، وكان للإمام ابن الحاجب أثر بالغ في ترسيخ المذهب المالكي وازدهاره واستمراره، فهو الذي أسهم في حفظ المذهب المالكي وتطويره وتجديده، وقد تآزرت جهوده مع غيره من فقهاء عصره في تركيز المذهب ونشره وبعثه من جديد، بعدما كاد ينقرض بسبب الدولة العبيدية، فبذل جهوداً مضيئة في خدمة المذهب سيما الجانب الفرعي الفقهي منه، ولا أدلّ على ذلك من كتابه النفيس جامع الأمهات، الذي ألّفه في فروع الفقه المالكي، وخدم به المذهب المالكي أيّما خدمة، فهو نموذج لجهوده الفقهية، ولأهمية الكتاب في المذهب ومكانته لدى الفقهاء فضّل الكثير من أهل المغرب كبجاية وتلمسان وتونس والمغرب الأقصى دراسته وتقديمه عن المؤلفات المالكية الأخرى، وانفردوا به وعولوا عليه دون غيره من الكتب.

فأصبح كتاب جامع الأمهات أكثر الكتب الفقهية اعتماداً عند المالكية منذ تأليفه إلى ما بعد ظهور مختصر خليل، وعلى هذا الأساس فقد نال الكتاب مكانة مرموقة ومنزلة عالية عند أهل المذهب، قلّ أن حظّي مختصر من المختصرات الفقهية المالكية بمثل ما حظّي به جامع الأمهات.

هذا وقد اهتم الباحثون بما أبدعه ابن الحاجب في مجال أصول الفقه واللغة العربية، ولكن جانب تأثيره وإسهاماته في خدمة الفقه المالكي تأصيلاً وتفرعاً نادرة هي الدراسات حوله، مع أن الإمام ابن الحاجب أسهم بشكل واضح في خدمة المذهب المالكي لاسيما في الجانب الفقهي منه من خلال كتابه جامع الأمهات، وقد ترك أثارا بارزة في خدمة المذهب، وهنا يُطرح الإشكال الآتي:

(أ) فيم تكمن إسهامات ابن الحاجب في تطور المذهب المالكي؟

(ب) وما هي هذه الجوانب والآثار التي أسهم بها في خدمة المذهب المالكي؟

وتأتي هذه الورقة البحثية للإجابة عن هذا التساؤل، وبيان الجانب المشرق لهذا العلم في خدمة الفقه المالكي من خلال كتابه جامع الأمهات.

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن شخصية ابن الحاجب العلمية والفقهية الكبيرة، وإماطة اللثام عن جهوده وآثاره في الفقه المالكي، حيث يتم التركيز فيها على كتابه جامع الأمهات ودوره في تطور المذهب، وذلك في مبحثين اثنين: أولهما يتعلق بترجمة موجزة بابن الحاجب وكتابه جامع الأمهات، وثانيهما يتعلق ببيان أثر كتاب جامع الأمهات في خدمة المذهب المالكي وتطوره.

هذا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

2. المبحث الأول: التعريف بابن الحاجب وكتابه جامع الأمهات

1.2 المطلب الأول: ترجمة موجزة لابن الحاجب

1.1.2 الفرع الأول: اسمه ونسبه ومولده (رحمه الله تعالى)

1.1.1.2 أولًا: اسمه: هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الكردي، الملقب جمال الدين⁽¹⁾، المعروف بابن الحاجب.

2.1.1.2 ثانيًا: نسبه: اختلفت المصادر في نسبه على أقوال، ومن أشهرها: الدويني⁽²⁾: نسبة إلى دوين: وهي بلدة من نواحي أزان، في آخر حدود أذربيجان بقرب من تفليس⁽³⁾.

3.1.1.2 ثالثًا: مولده: ولد ابن الحاجب في بلدة أسنا⁽⁴⁾ التابعة لمدينة قوص في منطقة صعيد مصر، ولقد كفانا عنا البحث عن تاريخ مولده، حيث صرح أنه ولد سنة سبعين، أو إحدى وسبعين وخمسمائة، الشك منه⁽⁵⁾.

2.1.2 الفرع الثاني: اشتغاله بطلب العلم وأشهر شيوخه

1.2.1.2 أولًا: اشتغاله بطلب العلم: اشتغل ابن الحاجب في بداية طلبه بالقرآن الكريم كعادة غيره من طلاب العلم في تلك الفترة، فآتم حفظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ اللغة العربية والحديث والكلام والأصول والفقه المالكي على علماء بلده⁽⁶⁾.

فقرأ القرآن الكريم ببعض الروايات على الإمام الشاطبي، ولازمه وتأدب على يديه وعلى غيره، وحضر مجلسه في إقراء النحو، ثم توجه إلى أبي الفضل محمد بن يوسف الغزنوي، فقرأ عليه بطرق "المُبهج"، وتلا بالقراءات السبع على الشيخ أبي الجود غياث بن فارس اللخمي⁽⁷⁾.

وأما في مجال الفقه فقد تفقه على مذهب الإمام مالك، وعول في ذلك على الفقيه الأصولي المحدث أبي الحسن الأبياري، الذي يُعد من كبار شيوخ ابن الحاجب، وبه تفقه، وأخذ عنه الكثير، وكان اعتماده عليه، وأخذ مختلف العلوم من علماء بلده مثل: النحو، والفقه، والأصول، والقراءات، والمنطق⁽⁸⁾.

ثم رحل إلى دمشق، وتكرّر دخوله عليها ليسمع من بعض فضلائها، فلقي الإمام بهاء الدين القاسم بن عساكر، فأخذ الحديث عنه وعن غيره من علماء دمشق، وانتفع بهم، فكثر شيوخه، وزاد كمال تعليمه في فنون العلم المختلفة، وحوى علما جما.

وبقي ابن الحاجب مشغلا بالعلم، ملازما لشيوخه، يتردد عليهم، ويتعلم منهم ويستفيد، حتى ضرب به المثل في ذلك، فتمكن من تحصيل جميع علوم عصره، وتفنن فيها⁽⁹⁾.

2.2.1.2 ثانيًا: أشهر شيوخه: تفقه الإمام ابن الحاجب على يد كثير من العلماء والفقهاء الذين لعبوا دورًا كبيرًا في حياته العلمية، وسأكتفي بذكر أبرزهم ممن له الفضل الكبير في تكوينه من الناحية اللغوية

والفقهية، وذلك فيما يأتي:

- الفقيه الأصولي المحدث شمس الدين علي بن إسماعيل بن علي بن عطية الصُّنْهَاجِي الأبياري، نسبة إلى مدينة أبيار من بلاد مصر، ولد سنة 557هـ، سمع منه جماعة منهم: ابن الحاجب حيث كان اعتماده عليه في الفقه وتخرّج على يديه، توفي سنة 616هـ، وقيل 618هـ⁽¹⁰⁾.

- القاسم بن فيرة بن أبي القاسم خلف بن أحمد، الرعيني الشاطبي الضرير المقرئ، ولد في آخر سنة 538هـ بشاطبة من الأندلس، ارتحل ليحج، فدخل مصر سنة 572هـ، وتصدّر للإقراء بالمدرسة الفاضلية، وقصّده الخلائق من الأقطار، وكان منهم الإمام ابن الحاجب، حيث سمع منه التيسير والشاطبية، وأخذ عنه بعض القراءات، وتوفي سنة 590هـ، ودفن يوم الاثنين بالقرافة الصغرى بمصر⁽¹¹⁾.

- أبو الجود غياث بن فارس بن مكّي اللخمي المنذري المصري الضرير، ولد سنة 518هـ، تصدّر للإقراء من شبّيته، وقرأ عليه خلق كثير، منهم أبو عمرو بن الحاجب، فقد قرأ عليه جميع القراءات، توفي في تاسع رمضان سنة 605هـ رحمه الله تعالى⁽¹²⁾.

- بهاء الدين أبو الفضل محمد بن يوسف بن علي بن محمد الغزنوي نسبة إلى مدينة غزنة، وهي: أول بلاد الهند، ولد ببغداد سنة 522هـ، سار إلى مصر فأقام بها فقرأ عليه أبو عمرو بن الحاجب وغيره، توفي يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول سنة 599هـ بالقاهرة رحمه الله تعالى⁽¹³⁾.

- بهاء الدين القاسم ابن الحافظ أبو القاسم علي بن هبة الله بن عساكر، ولد سنة 527هـ بدمشق، رحل إليه الإمام ابن الحاجب إلى دمشق وسمع منه الحديث سنة 600هـ⁽¹⁴⁾.

3.1.2 الفرع الثالث: نشاطه التدريسي وأشهر تلاميذه ومؤلفاته

1.3.1.2 أولاً: اشتغاله بالتدريس

بعدما ظهرت الإمكانيات العلمية لابن الحاجب، واستوعب من المعارف ما رشّحه لإلقاء الدروس ونشر العلم، نزل إلى ساحة البذل والعطاء، فأظهر نشاطاً وهمّة كبيرة في التدريس، فبدأ بالتدريس في مصر أين كانت مجالس العلم، وتصدّر للتعليم بالمدرسة الفاضلية التي كانت من أعظم مدارس القاهرة وأجلّها⁽¹⁵⁾، فبقي فيها مدة⁽¹⁶⁾، ثم توجه إلى دمشق سنة 617هـ واستوطن فيها، فاشتغل بالتدريس في الجامع الأموي في زاوية المالكية⁽¹⁷⁾ بدمشق، كما درّس بالمدرسة النورية الصلاحية المالكية⁽¹⁸⁾، والتزم لهم الدروس في علمي القراءات والعربية، وضاع صيته بها، فأكبّ الخلق بالاشتغال عليه، والاستفادة من علمه، وقصّده الطلاب وتخرّجوا على يديه فأصبحوا بعد ذلك من العلماء المبرزين⁽¹⁹⁾.

بقي ابن الحاجب في دمشق حتى كان خروجه منها إلى الديار المصرية سنة 638هـ، فأقام بها وجلس في موضع شيخه الشاطبي بالفاضلية، فدرّس وأفتى وصنف حتى انتهت إليه رئاسة العلم، فقصّده الطلبة من

البلاد وأكبوا على الأخذ عنه، ولازمه الناس للاشتغال عليه، وتفقه به خلق كثير⁽²⁰⁾، ثم غادر القاهرة قاصداً الإسكندرية لمواصلة جهوده العلمية، فلم تطل مدة إقامته فيها حتى وافاه الأجل⁽²¹⁾.

2.3.1.2 ثانياً: أشهر تلاميذه

وأما تلاميذه فإن القرائن كلها تشير إلى كثرتهم عدداً وذلك لتنوع من أخذوا عنه في شتى العلوم، لاسيما وقد مارس التدريس في عدة مدارس بالشام ومصر، وسأكتفي بذكر أشهرهم:

- ناصر الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الإسكندراني، الشهير بابن المُنَيَّر، ولد سنة 620هـ، وتفقه بجماعة اختص منهم بالإمام أبي عمرو بن الحاجب وتفنن به فيه، وهو المأذون في إصلاح كتاب بن الحاجب الفرعي، مات سنة 683هـ بالإسكندرية⁽²²⁾.

- ناصر الدين أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشدالي الزواوي البجاوي، ولد سنة 632هـ، رحل للشرق صغيراً مع أبيه وبه قرأ وتفقه وسمع بالشام ومصر، وروى عن ابن الحاجب، وهو أول من أدخل مختصر ابن الحاجب الفرعي ببجاية، مات ببجاية سنة 731هـ عن مائة سنة⁽²³⁾.

- شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي الصنهاجي المصري، أخذ عن جمال الدين ابن الحاجب وغيره، وتوفي رحمه الله في جمادى الآخرة عام 684هـ ودفن بالقرافة⁽²⁴⁾.

- علي بن محمد بن منصور بن المنير المالكي يلقب زين الدين، وهو أخو القاضي ناصر الدين بن المنير، ولد سنة 629هـ، وقرأ الفقه على أبي عمرو بن الحاجب، وتوفي سنة 695هـ⁽²⁵⁾.

- زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعي ولد بمصر سنة 581هـ، حدث عن الإمام ابن الحاجب وروى عنه، ودرّس الفقه بالجامع الظافري بالقاهرة، توفي سنة 656هـ⁽²⁶⁾.

3.3.1.2 ثالثاً: مؤلفاته

كتب ابن الحاجب مؤلفات كثيرة ومتنوعة الأمر الذي يدل على تنوع علومه وغزارة معارفه، وفيما يأتي ذكر لبعض مؤلفاته:

- الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط: تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، الناشر: مكتبة الآداب بالقاهرة سنة 2010م.

- شرح الوافية: بتحقيق الدكتور طارق نجم عبد الله، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر بمصر وقد نوقشت سنة 1979م.

- الإيضاح في شرح المفصل: وهو مطبوع بتحقيق موسى بناي العليلي طبع بمطبعة العني ببغداد.

- الأمالي النحوية: تحقيق الدكتور فخر صالح سليمان قدادة، طبع بدار الجيل بالأردن سنة 1409هـ.

- منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل: اختصر به كتاب الأحكام في أصول الفقه للآمدي، وهو مطبوع بدار الكتب العلمية ببيروت سنة 1405هـ.
- مختصر المنتهي في الأصول: بتحقيق الدكتور نذير حمادو، وأصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة نوقشت سنة 1423هـ، وطبع بدار ابن حزم ببيروت سنة 1427هـ.
- جامع الأمهات أو مختصر الفروع: وهو مطبوع بعدة تحقيقات منها: تحقيق الدكتور أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضر في طبع بمطبعة اليمامة بدمشق سنة 1421هـ، وتحقيق: الدكتور علي بسام طبع في مجلدين بدار ابن حزم ببيروت سنة 1437هـ.
- المقصد الجليل في علم الخليل: قام بتحقيقه الدكتور محمود محمد العامودي ونشر في مجلة الجامعة الإسلامية بغزة سنة 2007م.

4.1.2 الفرع الرابع: ثناء العلماء عليه ووفاته

1.4.1.2 أوّل: ثناء العلماء عليه

- أثنى جمع غفير من أهل العلم على ابن الحاجب، وشهد كل من ترجم له على اتصافه بعلو الهمة وحدة الذكاء، وبلوغه المنزلة العليا في العلم، مع حسن الأخلاق والزهد والورع.
- قال تقي الدين بن العيد وهو أحد المعاصرين له: "كان وحيد عصره علما وفضلا واطلاعا"⁽²⁷⁾.
- وقال ابن أبي شامة: "كان ركنا من أركان الدين في العلم والعمل، بارعا في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية، متقنا لمذهب مالك بن أنس، وكان من أذكى الأئمة قريحة"⁽²⁸⁾.
- وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيرا فقال: "وكان من أحسن خلق الله ذهنا، وجاءني مرارا بسبب أداء شهادات، وسألته عن مواضع في العربية مشكلة فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير وثبت تام"⁽²⁹⁾.
- وذكره ابن مهيدي في معجمه فقال: "كان ابن الحاجب علامة زمانه، رئيس أقرانه"⁽³⁰⁾.
- وقال القرافي: "شيخنا الإمام الصدر العالم جمال الفضلاء رئيس زمانه في العلوم وسيد وقته في التحصيل والمفهوم، جمال الدين الشيخ أبي عمرو"⁽³¹⁾.
- وقال تاج الدين السبكي: "شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو ابن الحاجب"⁽³²⁾.
- وقال الأدفوي: "وكان صحيح الذهن، قوي الفهم، حادّ القريحة"⁽³³⁾.
- وذكره ابن كثير فقال: "وتفقه وساد أهل عصره، ثم كان رأسا في علوم كثيرة"⁽³⁴⁾.
- وقال الذهبي: "الشيخ، الإمام، العلامة، المقرئ، الأصولي، الفقيه، النحوي، جمال الأئمة والملة

والدين، أبو عمرو، وكان من أذكى العالم⁽³⁵⁾."

وقال الشيخ مخلوف: "الفقيه، الأصولي، المتكلم، النظار، خاتمة الأئمة المبرزين الأخيار، العلامة المتبحر، إمام التحقيق، وفارس الإتقان والتدقيق، كان ركناً من أركان الدين علماً وعملاً⁽³⁶⁾".

2.4.1.2. ثانياً: وفاته

انتقل الإمام ابن الحاجب (رحمه الله تعالى) من مصر إلى الإسكندرية ولم تطل مدته هناك، وتوفي بها ضحى يوم الخميس السادس والعشرين من شهر شوال سنة 646هـ، ودفن خارج الإسكندرية في المقبرة التي بين المنارة والبلد، وقبره قريب من قبر الشيخ ابن أبي شامة (رحمه الله تعالى)⁽³⁷⁾.

2.2. المطلب الثاني: التعريف بكتاب جامع الأمهات

1.2.2. الفرع الأول: اسم الكتاب، وصحة نسبته لمؤلفه

1.1.2.2. أولاً: اسم الكتاب

لم يصدر ابن الحاجب كتابه بمقدمة تضبط لنا عنوانه كما فعل في كتبه الأخرى، مما أوقع اختلافاً في ضبط عنوانه، فنص البعض أن ابن الحاجب سَمَّاه "الجامع بين الأمهات"، أو "جامع الأمهات".

قال ابن دقيق العيد: "وسمَّاه الجامع بين الأمهات"⁽³⁸⁾.

وقال الأذفوي: "وكتابه في الفقه جامع الأمهات"⁽³⁹⁾.

والظاهر أن هذا هو الاسم الأصلي للكتاب، ووصفه البعض بـ "المختصر الفقهي" أو "مختصر الفقه"⁽⁴⁰⁾ أو "المختصر الفرعي"⁽⁴¹⁾ تمييزاً له عن المختصر الأصولي.

2.1.2.2. ثانياً: صحة نسبة الكتاب لمؤلفه

ليس هناك أدنى شك في أن كتاب جامع الأمهات من مؤلفات ابن الحاجب، وتحققت صحة هذه النسبة بعدة أمور منها:

أ - معظم من ترجم لابن الحاجب نسب له هذا الكتاب.

ب - كل من شرح هذا الكتاب نسب له ابن الحاجب.

ج - كل من أفاد من هذا الكتاب ونقل منه نسب له ابن الحاجب.

2.2.2. الفرع الثاني: مكانة الكتاب في المذهب المالكي

كتب الله تعالى لكتاب جامع الأمهات القبول فذاع صيته وطارت شهرته في الآفاق، واعتنى به المشاركة والمغاربة، وتبوأ مكان الصدارة لدى علماء المالكية، فكان كتاب الناس في مصر وتونس والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وغيرها من البلاد التي احتضنت المذهب المالكي⁽⁴²⁾ فحظي بعناية كبرى على مر الأجيال من الفقهاء المعاصرين للإمام ابن الحاجب والمتأخرين عنه.

قال ابن دقيق العيد: "فحفظ هذا الكتاب الحُفَاط، واعْتَنِي منه بالمعاني والألفاظ، وَشُدَّتْ عليه يد الضَّنَّانة والحَفَاط، وقامت له سوق لا يَدْعِيها ذو المجاز ولا عُكَاظ، فَوَكَّلْتُ به الأَسْماع والأَبْصار، وكثرت له الأَعْوَان والأَنْصار⁽⁴³⁾".

وقد اصطلح ابن الحاجب على تسميته بجامع الأمهات⁽⁴⁴⁾، وكان قصده من هذه التسمية أن الأمهات الفقهية مثل المدونة ومختصراتها، وغير ذلك من الكتب المؤلفة في الفقه المالكي قد جمعها في مختصره⁽⁴⁵⁾، وعلى هذا الأساس فقد نال جامع الأمهات مكانة مرموقة ومنزلة عالية عند أهل المذهب، قَلَّ أن حَظِّي أثر من الآثار الفقهية بمثل ما حَظِّي به هذا الكتاب.

فقد كان علماء المذهب ينظرون إليها كنظرة الكتاب الأساسي للمذهب المالكي، لذا اعتمدوا عليه وقَدَّموه على غيره من الدواوين في عصره، فجنَّدوا أنفسهم في تداوله ونشره، ورحل الناس لسماعه وكتابته، وعَمَّت مجالس التدريس به، وقد أقبل العلماء والفقهاء على تداوله ونشره وحفظه والتأليف عليه.

وتسابق فقهاء المغاربة لاقتناء الكتاب ونسخه وروايته، فارتحل ناصر الدين منصور المشدالي (ت731هـ) من بجاية إلى مصر، ونسخ كتاب جامع الأمهات، ولما جاء به إلى المغرب نشره بقطر بجاية في تلاميذه ورغبهم في قراءته وتدارسه وروَّج له كثيرا⁽⁴⁶⁾، فشهدت حاضرة بجاية اهتمامًا كبيرًا بهذا الكتاب، وعكف عليه الكثير من الطلبة فأخذته عنه أجيال كثيرة، ورحل الناس إليه لسماعه منه، ومنذ ذلك الحين وعلماء المغرب كلهم اهتموا بجامع الأمهات واشتغلوا بنقله ونشره وتداوله، وجعله في متناول جميع المهتمين بفقه السادة المالكية، باعتباره يمثل وقتها أحد أبرز المصنفات الفقهية التي أُلِّفَتْ في الفقه المالكي.

3.2.2. الفرع الثالث: أبرز الكتب المؤلفة حول جامع الأمهات

- شرح مختصر ابن الحاجب لمحمد بن علي القشيري المعروف بابن دقيق العيد (702هـ)⁽⁴⁷⁾.
- الشهاب الثاقب في شرح مختصر ابن الحاجب لمحمد بن عبد الله بن راشد القفصي (736هـ)⁽⁴⁸⁾.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لشرف الدين عيسى بن مسعود العجلاني الحميري الزواوي (743هـ)، توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (48)⁽⁴⁹⁾.
- شرح مختصر ابن الحاجب للإمام محمد بن عبد السلام بن يوسف الهواري المالكي التونسي (749هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، طبع بوزارة الأوقاف القطرية سنة 2018م، وللكتاب طبعة أخرى بتحقيق مجموعة من الباحثين، صدرت عن دار ابن حزم ببيروت سنة 2018م.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لمحمد بن هارون الكناني التونسي (750هـ)⁽⁵⁰⁾.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفقهي لمحمد بن حسن بن محمد المالقي (771هـ)⁽⁵¹⁾.

- التوضيح في شرح المختصر الفرعي لابن الحاجب لخليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت776هـ)، طبع بعدة تحقیقات أبرزها تحقيق: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، وقد طبع بمركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث بمصر سنة 2008م.

- إزالة الحاجب لفروع ابن الحاجب لمحمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني (ت781هـ)⁽⁵²⁾.
- معتمد الناجب في إيضاح مبهمات ابن الحاجب لمحمد بن سعيد الصنهاجي (ت790هـ)⁽⁵³⁾.
- تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لإبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت799هـ)⁽⁵⁴⁾.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لأحمد بن محمد بن عبد الله القلشاني (ت863هـ)⁽⁵⁵⁾.
- شرح مختصر ابن الحاجب الفرعي لعبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت876هـ)⁽⁵⁶⁾.

والملاحظ أن غالب من شرح هذا الكتاب وعلق عليه هم المغاربة.

3. المبحث الثاني: أثر كتاب جامع الأمهات في خدمة المذهب المالكي

قدّم ابن الحاجب خدمة جليلة للفقهاء المالكي بتأليفه كتاب جامع الأمهات الذي يُعدّ عصاره جُهد بعد أن نضج الفقه المالكي واستوى عنده، وقد أسهم كتابه بشكل واضح وجليّ في تكملة بناء صرح المذهب المالكي تأصيلاً وتفريعاً واجتهاداً، وتعددت إسهامات الإمام ابن الحاجب في خدمته للمذهب حيث يمكن إجمالها في الجوانب الآتية:

1.3. المطلب الأول: أثر كتاب جامع الأمهات على الدرس الفقهي، وتأثيره في الحياة العلمية

انتشر كتاب جامع الأمهات بين أوساط الفقهاء، وتسابق طلبة العلم لاقتنائه، ولقي رواجاً كبيراً بينهم، واكتسح الكتاب مجالس التدريس وسيطر على الدرس الفقهي وهيمن عليه، حيث أزاح الكتب التي كانت تُعنى بالشرح والتدريس وما ذاك إلا لملاءمته للدرس الفقهي، حيث أنه على وجازته قد حوى مسائل الفقه المالكي كله، لذا اعتمد عليه المدرسون في دروسهم تيسيراً على طلابهم، وأصبح عمدة الراغبين في التفقه على مذهب مالك في بلاد المشرق والمغرب.

ويتضح ذلك جلياً من خلال تتبع تراجم كثير من الفقهاء الذين جاءوا بعد ابن الحاجب، ليرى الناظر أن أكثر الكتب المالكية المدروسة هو جامع الأمهات.

ففي مصر بدأ تدريس كتاب ابن الحاجب الفرعي مبكراً، حيث انتشر وذاع بين العلماء والفقهاء، فعولوا عليه وعكفوا على تدارسه في المساجد والمدارس، نتيجة لسمعة مؤلفه الطيبة، ونظراً لما للكتاب من مميزات كانت ذا وقع طيب على نفوس المتعلمين، ويكفي دليلاً على سيطرة الكتاب على الدرس الفقهي أن فقهاء الشافعية بمصر قاموا بتدريسه والثناء عليه قبل المالكية، فهذا قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد الشافعي يعكف على تدريس مختصر ابن الحاجب الفقهي، ويشني عليه كثيراً ترغيباً للناس فيه⁽⁵⁷⁾، فكان يقول: "إن الكتاب الذي صنّفه الإمام العلامة الأفضل أبو عمرو... المعروف بابن الحاجب رحمه الله،

وسمّاه: الجامع بين الأمهات، أتى فيه بالعَجَب العُجَاب، ودعا قَصِيّ الإِجَادَة فكان المُجَاب، وراض عَصِيّ المُراد فزال شِمَاسُه وأنجَاب...⁽⁵⁸⁾

وقال كمال الدين الزمكاوي الشافعي: "ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية"، وما أحسن هذه الشهادة من إمام من أئمة الشافعية وما يشهد إلا على ما حقّقه، ومن خَبَر الكتاب صدّقه⁽⁵⁹⁾.

وأما بالنسبة إلى المغرب فالمؤكد أن نجاح جامع الأمهات في سيطرته على الدرس الفقهي به لم يكن أقلّ ممّا هو عليه بمصر، إذ بفضل هذا الكتاب حصّلت لأبي علي ناصر الدين المشدالي في المغرب رئاسة، حيث كان له الفضل في نشر الكتاب وبثّه وتدرّيسه في حلقات العلم، وترغيب الناس في مدارسته، فذاع صيت الشيخ، والتحقّ قوم من الأندلس وتلمسان والمغرب وتونس به كي يُسمِعهم الكتاب.

يقول ابن خلدون: "ولمّا جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة عكف عليه الكثير من طلبة المغرب وخصوصاً أهل بجاية، لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه إلى المغرب، فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك، فجاء به وانتشر بقطر بجاية في تلاميذه، ومنهم انتقل إلى سائر الأمصار المغربية، وطلبة الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه، لما يؤثر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه"⁽⁶⁰⁾.

كما عرف الكتاب بتلمسان وبأقصى الغرب الإسلامي كله نجاحاً منقطع النظير، وربما فاق أمهات المذهب، ومن مظاهر نجاحه بالمغرب إقبال العلماء والفقهاء عليه لدراسته ومدارسته في حلق العلم، فعرف رواجاً كبيراً بين الطلبة، وكان ذلك طبعاً على حساب كتب المذهب الأخرى لما حواه من ثروة فقهية هائلة.

ولمّا قدّم القاضي أبو عبد الله محمد المنجلاتي في حدود سنة (715هـ) رسولاً من بجاية إلى المغرب اجتمع عليه طلبة المريّة⁽⁶¹⁾ وفقهاؤها للأخذ عليه، ففتقّوها عليه في الفرائض من مختصر ابن الحاجب، وكان متحقّقاً بعلمها⁽⁶²⁾.

وأما في الأندلس فقد انتصب أبو منصور الزواوي والأستاذ أبو عبد الله المسفر لتدريس الكتاب، كما أفاد ذلك الإمام الشاطبي⁽⁶³⁾.

كما كان للكتاب قبول حسن في الأوساط المالكية بتونس، حيث كان عليه المعوّل في حلق الدرس، فانكبّ التونسيون على تعاهد الكتاب واعتنوا به اعتناء فائقاً، ورجعوا إليه باعتباره أصلاً مُهمّاً في كتب المالكية، فتناولوه بالدرس والتدريس والشرح، وكان من بين هؤلاء: الإمام ابن راشد القفصي وابن هارون وابن عبد السلام، وكلّهم من مشيخة أهل تونس⁽⁶⁴⁾.

وقد كان مختصر ابن الحاجب الفرعي تُعقّد له مجالس في مكّة المكرّمة ويحضرها طلبة العلم من كل مكان، فنجد أبو السعادات بن ظهيرة أقرأ المختصر الفرعي لابن الحاجب بمكة في نحو مائة وعشرين

مجلسا من خمسة أشهر⁽⁶⁵⁾.

وكان محمد بن موسى الغماري المغربي نزيل مكة له دروسا كثيرة في مختصر ابن الحاجب الفرعي قراءة وسماعا ببحث وتحريير⁽⁶⁶⁾.

بقي كتاب جامع الأمهات مترج على عرش الفقه المالكي وله حضور قوي في المدارس والمجالس، وكتاب مقرر في حلقات الدرس، إلى أن ظهر مختصر خليل⁽⁶⁷⁾، فكثرت الاعتناء بالمختصر الخليلي على حساب جامع الأمهات، فهذا الشيخ موسى الفكيرين القسنطيني (ت1054هـ) كان آخر مدرّس لابن الحاجب في قسنطينة لم يُدرّس فيها أحد البتّة بعده⁽⁶⁸⁾.

2.3. المطلب الثاني: أثر كتاب جامع الأمهات في تسهيل المادة الفقهية للباحثين

وجد المتأخرون صعوبات كبيرة في قراءة وفهم وحفظ كتب المتقدمين، حيث كانت مشحونة بالأقوال والآراء الكثيرة والروايات المتضارب في فهم معناها ومؤدّاه، ممّا أضّر ذلك بالناس في تحصيل العلم، والوقوف على غاياته، فيحتاج المتعلّم وطالب الفقه في المذهب المالكي إلى استحضار المدونة وما كُتب عليها من الشروحات الفقهية مثل: كتاب ابن يونس، واللّخمي، وابن بشير، والتنبيهات، والمقدّمات، والبيان والتّحصيل على العتبية، ثمّ إنّّه يحتاج إلى تمييز الطّريقة القيروانية من القرطبية والبغدادية والمصرية، وطُرُق المتأخّرين عنهم، والإحاطة بذلك كلّ، وحينئذ يُسلم له منصب الفتيا، وهي كلّها متكرّرة والمعنى واحد⁽⁶⁹⁾.

وفي هذا السياق جاء ابن الحاجب في كتابه جامع الأمهات وقرّر إعادة النظر في قراءة تلك الكتب والأمهات المطوّلة، فاختصرها وحصر مسائلها وأدلّتها، ولخص طرق أهل المذهب في كلّ باب، وعدّد أقوال أهل المذهب في كلّ مسألة، كل ذلك في ألفاظ قليلة بمعانٍ كثيرة، وقد أزال ما كان مانعا من الاستفادة، وحذف ما يستغنى عنه ولم يعد لذكره فائدة، وحذف المكرّر، واختصر العبارات الطويلة التي يمكن استيفاء مؤدّاه في عبارة أقصر، وبسط ما يحتاج إلى البسط، وتوضيح ما يحتاج إلى الإيضاح، وشرح أفكار المؤلف الأول وآرائه، وإقرار الصّواب منها، وانتقاد ما هو قابل للانتقاد، مع المحافظة على نسبة كل قول لصاحبه⁽⁷⁰⁾، فجاء كتابه كالبرنامج للمذهب⁽⁷¹⁾.

وكان القصد من هذا كله تقريب الفقه المالكي للفئات الدارسة له، والمهتمة بقضاياها، وتيسير فهمه للقارئ عن طريق ضبط مسائله وتحريرها واختصارها، وقد تَوخّى ابن الحاجب استيعاب فروع فقه مالك وضّمّها في مصنف واحد، ونجح إلى حدٍ كبير في مهمّة الجمع والاستيعاب وتبسيط المسائل وتحريرها، وبذل في ذلك مجهودات كبيرة ليكون في متناول الدّارسين والمهتمين، ولذلك فالكتاب اشتمل على جميع أقوال المذهب وفرّغ فيه الأمهات، وقد نقل خليل معظمها في كتابه المختصر، وزخّرت كتب المذهب في النقل منه.

قال محمد الحجوي: "وفكرتهم هذه - يعني ابن الحاجب ومن جاء بعده - مبنية على مقصدين وهما:

تقليل الألفاظ تيسيراً على الحفظ، وجمع ما هو في كتب المذهب من الفروع، ليكون أجمع للمسائل، وكل منهما مقصد حسن⁽⁷²⁾.

وأصبح الناس يقرؤون أمهات الكتب وكتب المذهب بجامع الأمهات ليفهموا مقصود الأئمة، فقد كان محمد بن يعقوب الزواوي يقول: " من عَرَف ابن الحاجب أقرأ به المدونة، قال: وأنا أقرأ به المدونة"⁽⁷³⁾.

وكان أحمد بن يحيى الونشريسي يدرّس المدونة ومختصر الفرعي لابن الحاجب⁽⁷⁴⁾، وكان سليمان بن الحسن التلمساني قائماً على المدونة وابن الحاجب، مستحضراً لفقه ابن عبد السلام وأبحاثه نصب عينيه⁽⁷⁵⁾.

وأما محمد بن يحيى المديوني المدعو أبا السادات فقد كان يدرّس الرسالة ويدرس ما يناسبها من ابن الحاجب الفرعي، وإذا كان يقرئ ابن الحاجب يقرئ ما يناسبه من الرسالة، وهذا دأبه ودأب شيخه سيدي محمد بن موسى⁽⁷⁶⁾.

3.3. المطلب الثالث: أثر كتاب جامع الأمهات في إثراء النقاش العلمي

انكب الناس على دراسة كتاب جامع الأمهات واهتموا بالبحث على ألفاظ الكتاب، وتحقيق ما احتوت عليه بواطن الأبواب، وما صححه من الأقوال والروايات، وبيان وجوه الاحتمالات، والتنبيه على ما في الكلام من اضطراب الجواب، واختلاف المقالات، مع ما انضاف إلى ذلك من تتبع اختيارات ابن الحاجب ومناقشتها، بل وتخريج الأقوال عليها.

فتفتح عن ذلك حركة فكرية نشطة حول كتاب ابن الحاجب، فقامت مناظرات بين كثير من العلماء في شتى موضوعات الكتاب، حيث كانت تُبسط آراء ابن الحاجب فتثار حولها مناقشات، كما كانت تعرض إيرادات جديدة على تلك الآراء مع بسط الردود عليها، فكان النقاش العلمي المفيد سائداً في درس جامع الأمهات وبحث مسأله، كما كان الفقهاء يسألون عن معاني جاءت في جامع الأمهات في بعض القضايا والمسائل، وقد ساق الإمام الونشريسي في معياره مجموعة من الأسئلة طرحت على العلماء، وتتعلق هذه الأسئلة ببعض أقوال الإمام ابن الحاجب وقع فيها إشكالات، ومن ذلك مثلاً:

قال الونشريسي: " وسئل القاضي أبو حفص عمر القشاني عن قول ابن الحاجب: وفي إلحاق الخنزير به روايتان، ما معنى رواية الإلحاق؟ وهل يلحق به في مطلق الغسل خاصة أو فيه وفي تعدده؟ فإن كان فيه وفي تعدده فيشكل؛ لأن الانتهاء في الكلب إلى السبع إما تعبداً وإما لتشديد المنع... والانتهاء في الخنزير إن كان تعبداً قياساً على التعبد في الكلب، فالتعبدات لا يقاس عليها، وإن كان لتشديد المنع لعدم الانتهاء فلم يوجد ذلك في الخنزير؟".

فأجاب القشاني بجواب طويل ومفصل ودقيق، ثم بعد هذا الجواب أورد الونشريسي جواباً لأحمد بن زاغ، وجواب آخر لمنصور بن علي بن عثمان⁽⁷⁷⁾.

وبلغ أوج تأثير الكتاب في علماء المالكية أنهم خَرَجُوا بعض المسائل والأقوال من كلام ابن الحاجب، ومن ذلك ما قاله ابن حجر: "وقرأت بخط البرهان المحدّث بحلب، أنه سأل نور الدين ابن الجلال عن فرعين منسوين للمالكية فلم يستحضرهما وأنكر أن يكونا في مذهب مالك، قال: فسألت الشيخ جمال الدين فاستحضرهما، وذكر أنهما يخرجان من كلام ابن الحاجب الفرعي"⁽⁷⁸⁾.

وهذا يدل على أن مسائل الكتاب وقضاياها قد أهتمّت الناس وأشغلت المجالس العلمية، فثارت حولها مناقشات وتساؤلات مهّدت فيه لظهور طريقة جديدة في التدريس، وهذه الطريقة تمتاز باهتمامها بالدراسة أكثر من الزاوية والنقل، واعتماد الحوار والمناقشة والتعمق في البحث والتحليل والاستنباط واستغلال الجدّل في البحث والمناظرة، وتحت تأثير هذه الطريقة أصبح الفقهاء يميلون إلى الاجتهاد في الفروع وتخريج المسائل⁽⁷⁹⁾.

يقول التجيبي: "حضرت درسه - يعني منصور بن أحمد المشدالي - بيجاية فرأيت إماما من أئمة المسلمين، فقيه النفس، عالما بالاستنباط... يُعلّم الطلبة طُرُق البحث ومآخذ الخلاف، يُورد عليهم الأسئلة ويأمرهم بالجواب... وإذا اعترض طالب على صاحبه في مسألة استفهمه عمّا قال، فإن فهمه تركه يعترض عليه، وإلا قال له: أنت لا تعلم ما قال، فكيف تعترض عليه؟"⁽⁸⁰⁾.

وكان الحسن بن مخلوف المزيلي الشهير بأبركان يُقرئ الرسالة ومختصر ابن الحاجب الفرعي، حيث يبدأ أولا بإيضاح صورة المسألة حتى يفهمها كل واحد، ثم بعد ذلك يتّسع في نقل كلام الشراح ويبحث معهم، ثم بعد ذلك ينقل من الأمهات والدواوين الكبار ككتب ابن أبي زيد واللخمي وابن رشد ونحوها، يحقق به فقه المسألة، وقد حضر مجلسه كثير من المشايخ فأذعنوا لنقله وفهمه⁽⁸¹⁾.

4.3. المطلب الرابع: أثر كتاب جامع الأمهات في ضبط الأقوال والترجيح بينها

يعتبر كتاب جامع الأمهات من أهم جهود ابن الحاجب في تأصيل المذهب المالكي، حيث جعل من جملة أهدافه في تأليفه البحث عن القول المعتمد في المذهب، لذا فقد كان طيلة هذا الكتاب يعرض الأقوال المعتمدة ويُقرّرها ويُصدّرها، وهذا كله من أجل إبراز رأي المذهب المالكي في المسألة والانتصار له.

ومما هو معلوم أن معظم الأقوال المعتمدة في المذهب المالكي اختلف فيها المالكية أنفسهم من حيث صحة نسبتها للمذهب، أو من حيث المراد بها، الأمر الذي استدعى من علماء المذهب بذل جهود معتبرة في التحقيق والتدقيق من أجل تحري الصواب.

وبالرغم من الجهود التي بذلها الفقهاء الذين جاءوا قبل ابن الحاجب في تحرير الأقوال المعتمدة إلا أنها لم تكن كافية، حتى ظهر بعدهم ابن الحاجب فبذل جهوداً علمية جبارة ومتنوعة في تحقيق مسائل فرعية كثيرة حدث فيها خلاف داخل المذهب.

ومن حسن الحظ أن ابن الحاجب قد ظهر بعد أن نضج الفقه المالكي، واكتملت أركانه، ورفعت

قواعده، ومُخَصِّصَت أقواله ورواياته، مع بيان ما تتعلق بتلك الروايات والأقوال من مدلولات الألفاظ، ومن ترجيح وتضعيف، وتمييز الصحيح منها من الشاذ وغير ذلك، فاستفاد ابن الحاجب من تلك الجهود كلها.

وقد كان ابن الحاجب يتعامل مع هذه الآراء والأقوال تعامل الفقيه العامل، بهدف إكمال نواقص من سبقه من العلماء في تصفية وتنقية الأقوال المتضاربة والآراء المتعارضة، حيث يؤخذ فيها بالقول الراجح غير مشير إلى الأقوال الأخرى إلا بطريقة الإشارة، مع الانتصار لأصول المذهب وقواعده، ولمَّ شتات المذهب وطرقه، وربط فروع المذهب بأصوله، وهي الخطوة الأخيرة التي استبدل بعدها الفقه المالكي في صورته الأخيرة إلى يومنا هذا.

كما أسهم إسهاما فعال في البناء المعرفي للمذهب المالكي عن طريق إبداء رأيه العلمي واجتهاداته الشخصية بغية الوصول إلى الحقيقة وتحزّي الصواب في المسألة، وخير دليل على ذلك ما جاء في كتابه من تصحيحه للأقوال واختياره لبعض الآراء والترجيحات، وذلك كله عن طريق استقراء وتتبع نصوص المذهب وفق ما يمليه عليه اجتهاده، لدرايته وتمرّسه وخبرته في تدريس الفقه المالكي طيلة سنين طويلة.

فاستطاع أن يحوّل الفقه المالكي من أقوال وروايات كثيرة متعددة إلى قول واحد معتمد أو قولين معتمدين في المذهب، فيكون بذلك خلّص المذهب المالكي من الاختلاف الفقهي المضر سيما في الجانب التطبيقي منه كالفتوى والقضاء.

كما كان له الفضل في جمع طرق المذهب وتلخيص الأقوال والترجيح بينها وتحرير المسائل على الراجح والمعتمد من المذهب، وقد حاول أن يحسم مادة النزاع والفوضى في كثير من الأقوال والروايات المتضاربة.

قال ابن خلدون: "إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحاجب لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب، وتعدد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب"⁽⁸²⁾.

وبهذا الجمع للأقوال المعتمدة في المذهب مع اختصارها أصبح جامع الأمهات بمثابة فهرس لفروع الفقه المالكي، وسجلاً للفتوى والقضاء، ومرجعاً هاماً للمهتمين بهذا المجال⁽⁸³⁾.

5.3. المطلب الخامس: أثر كتاب جامع الأمهات في ضبط المصطلحات الفقهية وتطورها

اشتمل مختصر ابن الحاجب الفقهي على تعريفات ومصطلحات في كل باب من أبواب الفقه، فظهر اهتمام ابن الحاجب في كتابه - جامع الأمهات - بالمصطلحات الفقهية والتعريفات والحدود، حيث ذكر احترازاها، وحدّد مدلولها، وقوّم ما رأى فيها من الخلل، وجبّر نقصها، مستفيدا ممن سبقه من الفقهاء، فلخص آراءهم واقتفى أثرهم في العرض والتقسيم والتمثيل، كما أنه كان يقوم بتعديل التعاريف غير الدقيقة التي ينقلها عن غيره أو يضوّعها بعبارة أسلم، وقد أثرت هذه الطريقة في الفقهاء الذين جاؤوا من بعده، فزاد حرصهم على ضبط المعاني الفقهية الفرعية، وضقل المصطلحات الفقهية، ووضعها في نصابها، فكان كتابه بذلك قد أثار مسألة المصطلحات الفقهية والتعريفات والحدود، إلا أن هذا لا يعني أنه ليس في

مستوى الكمال الذي يخلو من النقائص، لذا فقد كان ابن عبد السلام في دروسه وفي شرحه على مختصر ابن الحاجب الفقهي يناقش تعاريف ابن الحاجب ويتعقبها وينقحها، في حرص بالغ على أن تكون هذه التعاريف جامعة لكل ما يندرج تحتها، مانعة من خروج ما ينضم إليها.

ثم جاء ابن عرفة وواصل مسلك شيوخه في الحوار ومناقشة المصطلحات التي صاغها سلفه، وخاصة منهم ابن الحاجب، فاشتمل مختصره على أبحاث رائقة تعقب فيها مختصر ابن الحاجب الفقهي وشارحيه، وناقش ابن عبد السلام وغيره في كثير من المواقف إزاء التعاريف الفقهية السابقة⁽⁸⁴⁾.

وقد قصد ابن عرفة بعمله في مختصره إلى ضبط المعاني الفقهية الفرعية بذاتها، وذلك بوضع حدود لأبواب العبادات وضروب المعاملات والعقود بطريقة التحديد المنطقي الجامع المانع، واهتم في مختصره بما سماه "تعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية"، والتزم ذلك بصورة مُطَرَّدة في كل باب من أبواب الفقه التي اشتمل عليها مختصره.

"ولا يخفى أن هذا العمل قد كان مُعيناً على ضبط المصطلحات الفقهية بتعيين معانيها وإقرار أسمائها، وتكوين ملكة التصرف فيها والتوليد منها، كما كان مدخلاً لألفاظ كثيرة استعملت في التعاريف، فراجت في اصطلاح الفقهاء مثل: الصفة الحكمية، والمُكَايَسَة، والتمليك، والإعطاء، والمنفعة، وذو المنفعة"⁽⁸⁵⁾.

وفي المجالس العلمية كانت تثار القضايا والمسائل التي درست على الشيخ ابن عرفة، ومنها ما كان محوره (تعريف ماهيات الحقائق الفقهية الكلية) بحيث كانت تُبسط آراء ابن عرفة في التعريف، وما أثر عنه من آراء أشياخه فيها، كما كانت تُعرض إيرادات جديدة عليها، مع بسط الردود عليها، ولعل أكثر طلبة هذه المجالس اهتماماً بالمسائل الفقهية، وخاصة منها ما يتصل بتعريف الماهيات والتعقيب عليها وبيان المقصود منها هو أبو عبد الله محمد بن قاسم الرصاع، الذي حصل له من خلال مقارنته للآراء، ومن مُثاقفة⁽⁸⁶⁾ التأمل في مصطلح ابن عرفة وحدوده يقين راسخ بتعمق أبحاث ابن عرفة وسعة اطلاعه، وُسُمو أنظاره، وبراعته في ضبط الحدّ، ونتج عن ذلك تعلق شديد بفقه ابن عرفة وتحريره للمسائل وولوع كبير بحدوده الفقهية⁽⁸⁷⁾، وقد برز ذلك بوضوح فيما صاغه في كتابه شرح حدود ابن عرفة.

قال الفاضل بن عاشور: "إن تعاريفه تلك جُرِّدت عن المختصر فكتب عليها شرح مستقل من وضع أحد تلاميذ تلاميذه وهو الشيخ محمد الرصاع التونسي، في أواخر القرن التاسع، والتزم دارسو الفقه حدود ابن عرفة عمدة يقيمون عليها بحوثهم وتحاريرهم، فتداولتها الكتب والدروس شرقاً وغرباً على توالي القرون"⁽⁸⁸⁾.

وفي مختصر ابن عرفة الفقهي عرض شيق لكثير من المسائل المتصلة بالحدود، المثيرة لمناقشات علمية، أسهم فيها ابن عبد السلام وغيره من شراح مختصر ابن الحاجب الفرعي⁽⁸⁹⁾، ويمكن أن نمثل على ذلك بمثال من كتاب شرح حدود ابن عرفة للرصاع.

قال ابن الحاجب: "الحِرَابَة: كل فعل يقصد به أخذ المال على وجه تتعذر معه الاستغاثة عادة من رجل،

أو امرأة، أو حرّ، أو عبد، أو مسلم، أو ذمي، أو مستأمن، ومخيفها وإن لم يقتل ويأخذ مالا". قال ابن عرفة: "فحمله ابن عبد السلام على أنه ذكر كلية شاملة لصور وليس كما توهم، وحمله ابن هارون على أنه رسم وتعقبه بأمور، ومما أورد على ابن الحاجب أن المتعذر الإغائة لا الاستغاثة". قال الرصاع: "وعندي أن في ذلك نظراً فإنه راعى اللفظ، لأن القصد الاستغاثة النافعة والمعنى عليه، وليس فيه عناية لدلالة السياق، وأورد عليه من تغلب عليه، ولم يغب، فإنه يدخل تحت ذلك وليس بحراية، وأجاب الشيخ ابن عبد السلام عن المؤلف، بما نقله عنه أولاً، وأنه لم يقصد حداً ولا رسماً، وإنما قصد إلى ذكر كلية يلزم اطرادها دون انعكاسها".

قال الشيخ ابن عرفة: "ليس كما توهم؛ يعني لأن سياق كلامه في ذكر الحقائق إنما هو قصد الرسوم أو الحدود، وأما الإخبار بكلية كما ذكر فليس فيه كمال فائدة وقد بسط هذا الرد قبل هذا".

قال الرصاع: "وهذا الكلام هو الذي أوجب لي الكلام على جميع ما رأيت في كلام الشيخ من ضوابط فقهية، لأنه قصد بها شبه الرسم، فيرد عليها ما ذكره، وقصدي بذلك كمال الفائدة للناظر في كتابه، ليكون هذا التقييد عوناً له على تحصيل فهم رسومه، وأكثر شروطه وضوابطه والله سبحانه ينفع الجميع بقصده، وحق الشيخ أن يعترض على ابن الحاجب في تصديره بكل في الرسم، ولما رأى كلام ابن الحاجب معترضاً عدل عنه إلى ما ذكر واختصر"⁽⁹⁰⁾.

وكان القصد من اعتراض الشيوخ على تعريفات ابن الحاجب هو البيان ودفع الوهم والغموض، بحيث يفتح مجال التوسع في المسائل وما يتصل بها من القيود والفروق والشروط وغير ذلك.

وبهذا يكون لكتاب جامع الأمهات دور مهم في بناء المصطلح الفقهي وتطويره، ونقطة انطلاق لمقارنات فقهية، وإيراد اعتراضات مع أجوبتها، وبسط أحكام متصلة بموضوع الحدود والتعريفات، إضافة إلى هذا فقد حوى كتابه مباحث لفظية ولغوية وشرعية وقواعد فقهية وضوابط متعلقة بكل باب فقهي، تكون فيه كالقاعدة لشمولها عديد الجزئيات.

6.3. المطلب السادس: أثر كتاب جامع الأمهات في الكتب التي جاءت بعده وفي حركة التأليف

يعدّ ابن الحاجب من أعظم فقهاء المالكية وأوسعهم شهرة في القرن السابع الهجري، فبظهوره يُعدّ بداية لمرحلة جديدة في تأليف الفقه المالكي، حيث أخرج كتابه في ثوب جديد نسخ به ما تقدمه من الكتب الفقهية، فأحدث نقلة نوعية في مسار الفقه المالكي، وغير نمط التأليف فيه، وكانت السمة البارزة في التأليف في الفقه المالكي قبله مُنصبه حول أمهات المذهب، حيث انصرفت جهود الفقهاء لشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها كمدونة سحنون وغيرها⁽⁹¹⁾، وظلت الشروح والحواشي هي السمات الغالبة على أهم مؤلفات الفقه المالكي حتى جاء ابن الحاجب وحاول أن يخرج الفقه من دائرة الشروح والحواشي إلى مرحلة إعادة كتابة فقه المتقدمين بطريقة في التأليف محبوبة، وبأسلوب منطقي فيه نوع ابتكار في تقرير مسائل الأحكام⁽⁹²⁾ وتلخيصها وتحريرها وتهذيبها، فأصبح كتابه يضمّ مادة علمية واسعة

في كلمات وتعبيرات موجزة.

وهذه الطريقة في التأليف مدحها غاية المدح بعض معاصريه، وكان منهم الإمام ابن دقيق العيد فقال في أول شرحه لجامع الأمهات: "إن الكتاب الذي صنّفه الإمام العلامة الأفضل أبو عمرو... المعروف بابن الحاجب رحمه الله، وسمّاه: الجامع بين الأمهات، أتى فيه بالعجب العجائب، ودعا قصي الإجازة فكان المُجَاب، ... وقَرَّب المزمى فَحَفَّف الحِمل الثَّقيل، وقام بوظيفة الإيجاز فناده لسان الإنصاف"⁽⁹³⁾.

وكان لمنهج الاختصار المُحكّم الذي سطره الإمام ابن الحاجب في كتابه تأثير قوي في دفع العمل الفقهي على ذلك المنهج وهو الذي سار على خطه فيما بعد القرافي وابن عرفة وابن راشد و خليل ومن جاء بعدهم، بل يكاد يكون ما كان بعده من مؤلفات إنما اعتمد على ما صنعه ابن الحاجب، وصار هذا المنهج يمثل ظاهرة واضحة وعرفا متبعا في التأليف لا يحيد عنه المؤلفون.

وأمام هذه الظاهرة برزت مختصرات مهمة أحدثت أثرا كبيرا في الميدان الفقهي حيث استطاعت هذه المختصرات أن تصوغ الفقه المالكي في صيغ بعيدة كل البعد على التعقيدات والتطويل والحشو، فأسهم ذلك في إثراء الحركة الفقهية، إلى جانب ذلك فقد انصب اهتمام الفقهاء والباحثين بهذه المختصرات فوضعوا عليها شروحات وحواشي وزوائد وغيرها من الوسائل التي أنعشت الفقه، وأكسبته حلة جديدة، تتمثل في ظهور أصناف كبيرة من المؤلفات كلها تهدف إلى إثراء الحركة الفقهية في المجال الاختصاري، فترك ذلك أثرا ملموسا في الساحة الفقهية المالكية⁽⁹⁴⁾.

قال الحجوي: "وصنع ابن الحاجب في التأليف الذي هو الاختصار وتنافس فيه من بعده، واستحسنوه"⁽⁹⁵⁾.

كما أسهم كتاب جامع الأمهات في تطوير حركة التأليف الفقهي وإثراء الروح العلمية ولفت الأنظار إليه، ففرض وجوده في الساحة الفقهية نظرا لما له من أهمية قصوى في الجانب الفقهي، حيث يعتبر برنامجا ملخصا للمذهب بصيغ مفهومة لا تستدعي التفكير الكبير في حل عباراته، مما حدا بالفقهاء والباحثين الاهتمام به⁽⁹⁶⁾، فاستحوذ على جهودهم حيناً من الدهر، وباشروه بالشرح والتوجيه والاختصار والمدارسة، وامتألت الساحة العلمية به، وأصبحت جُلّ المؤلفات التي جاءت بعد ابن الحاجب تدور حول كتابه جامع الأمهات، ومن ذلك مثلاً ما فعله الإمام محمد بن أبي القاسم المشدالي في كتابه مختصر البيان لابن رشد، فقد رتبّه على مسائل ابن الحاجب وجعله شرحا له، وأسقط التكرار منه، وردّ كل مسألة إلى موضعها من الإحالات فجاءت في غاية الإتقان والتيسير، وترك من مسائله ما لا تعلق له أصلا بكلام ابن الحاجب ولا يقرب إليه بوجه، وله أيضا اختصار أبحاث ابن عرفة في مختصره المتعلقة بكلام ابن شاس وابن الحاجب وشرحه مع زيادة شيء يسير في بعض المواضع ممّا لم يطلّع عليه ابن عرفة⁽⁹⁷⁾، وهو الذي أراد السخاوي بقوله: "واستدرك ما صرّح به ابن عرفة في مختصره بعدم وجوده"⁽⁹⁸⁾.

إضافة إلى ما سبق فقد ترك كتاب ابن الحاجب أثرا كبيرا في كتب الذين أتوا من بعده وقد استقوا فوائد

جليلة من هذا الكتاب، فكان الفقهاء يعتمدونه في النقل ويعتبرونه مرجعا للفقهاء المالكي باعتباره أصلا مهمًا في كتب المالكية، وينقلون منه الأقوال والروايات ويستشهدون بأقواله في دروسهم وشروحهم وكتبهم، وقد احتجّ عدد كبير من أصحاب الكتب الضخمة بما ورد في جامع الأمهات، وعدّوا هذا الكتاب مصدرًا هامًا من مصادر الفقه، وزيّنوا به فهارس كتبهم، وممّن نقل عنه من العلماء في كتبه خليل في مختصره، وشراح المختصر، والقرافي في الذخيرة، والمقري في القواعد، والونشريسي في المعيار، والرّصاع في شرحه، وابن عرفة في مختصره، وغيرهم، وكل ذلك لما احتواه كتابه من ثروة فقهية هائلة.

وبهذه الجهود الطيّبة يكون ابن الحاجب قد أسهم إسهاما فعال في حركة النهضة العلمية التي كان الفقه المالكي في أمّس الحاجة لهذه المجهودات والإضافات التي مثّلها ابن الحاجب في كتابه، فكان حقا مُجدّد المذهب بدون منازع.

4. خاتمة

في نهاية هذا البحث يمكن الإشارة إلى أهم النتائج والتوصيات:

1.1. النتائج

- أن ابن الحاجب له جهود فقهية وعلمية قيمة كان لها أثر مبارك في المذهب المالكي عبر العصور.
- أن ابن الحاجب قدّم خدمة جليلة للفقهاء المالكي بتأليفه جامع الأمهات الذي يُعدّ عصاره جهده.
- يعتبر كتاب جامع الأمهات برنامجًا ملخصًا للمذهب المالكي بصيغ مفهومة وواضحة.
- كان لكتاب جامع الأمهات أثر في الدرس الفقهي وتأثير في الحياة العلمية حيث بقي مترنّع على عرش الفقه المالكي، وله حضور قوي في المدارس والمجالس إلى أن ظهر مختصر خليل.
- أن الإمام ابن الحاجب كان له دور مهم في تقريب الفقه المالكي للفئات الدارسة له، والمهتمة بقضاياها، وتيسير فهمه للقارئ وذلك عن طريق ضبط مسأله وتحريها واختصارها، ومحاولة استيعاب فروع فقه مالك وضمّها في مصنف واحد.
- كان النقاش العلمي المفيد سائدا في درس جامع الأمهات وبحث مسأله، حيث كانت تبسط آراء ابن الحاجب فتثار حولها مناقشات، وتعرض إیرادات جديدة على تلك الآراء مع بسط الردود عليها.
- جعل ابن الحاجب من جملة أهدافه في تأليفه لكتابه الفقهي البحث عن القول المعتمد في المذهب المالكي، فقد كان طيلة هذا الكتاب يعرض الأقوال المعتمدة ويُقرّرها ويُصدّرها، وهذا كله من أجل إبراز رأي المذهب المالكي في المسألة والانتصار له.

- من الجهود المباركة التي قدّمها كتاب جامع الأمهات للمذهب هي إثارة مسألة المصطلحات الفقهية والتعريفات والحدود، حيث أثر ذلك في الفقهاء الذين جاؤوا من بعده، فزاد حرصهم على ضبط المعاني الفقهية الفرعية، وصقل المصطلحات الفقهية، ووضعها في نصابها، لذا كان لكتاب جامع الأمهات دور

مهم في بناء المصطلح الفقهي وتطويره.

- أسهم كتاب جامع الأمهات في تطوير حركة التأليف الفقهي وإثراء الروح العلمية.
- ترك كتاب الإمام ابن الحاجب الفرعي أثراً كبيراً في كتب الذين أتوا من بعده فقد استقوا فوائد جلية من كتابه، حيث كانوا يعتمدونه في النقل ويعتبرونه مرجعاً للفقهاء المالكي باعتباره أصلاً مهماً في كتب المالكية، وينقلون منه الأقوال والروايات ويستشهدون بأقواله في دروسهم وشروحهم وكتبهم.
- توصل هذا البحث إلى الكشف عن مدى حرص الإمام ابن الحاجب على خدمة المذهب المالكي في مجالات شتى من خلال جهوده المباركة في كتابه جامع الأمهات.

2.4. التوطيات

أوصي بأن تقام ندوات وأيام دراسية وأبحاث علمية حول هذه الشخصية العلمية المرموقة وأثرها في خدمة المذهب المالكي من مختلف جوانبه.

5. قائمة المراجع

- ابن الديبشي، محمد بن سعيد، (1427-2006)، ذيل تاريخ مدينة السلام، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي، (1391-1971)، درة الحجال في أسماء الرجال، القاهرة، مكتبة دار التراث.
- ابن تغري، يوسف بن عبد الله الظاهري، (بلا تاريخ)، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (1389-1969)، إنباء الغمر بأنباء العمر، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (1392-1972)، الدرر الكاهنة في أعيان المائة الثامنة، الهند، حيدر آباد.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (بلا تاريخ)، تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، بيروت، المكتبة العلمية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، (1408-1988)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، بيروت، دار الفكر.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد البرمكي، (1968)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، دار صادر.
- ابن عاشور، محمد الفاضل، (1982)، ومضات فكر، تونس، الدار العربية للكتاب.
- ابن عبد السلام، محمد بن إسحاق الأموي، (1994)، التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن الحاجب، مقدمة المحقق، طرابلس، دار الحكمة للطباعة والنشر.
- ابن عجيبة، أحمد بن محمد الإدريسي الحسني، (1971)، أزهار البستان في طبقات الأعيان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ابن فرحون، إبراهيم بن علي العمرى. (بلا تاريخ). الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. (محمد الأحمدى، المحرر) القاهرة، دار التراث.

- ابن فرحون، إبراهيم بن علي العمري، (1990)، كشف النقاب عن مختصر ابن الحاجب، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن قاضي شهاب، أبو بكر بن أحمد بن محمد الشهابي، (1407)، طبقات الشافعية، بيروت، عالم الكتب.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، (1408-1988)، البداية والنهاية، بيروت، دار إحياء التراث.
- ابن مريم، المليتي المديوني التلمساني، (1908-1336)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، الجزائر، المطبعة الثعالبية.
- أبو الفضل، محمد أحمد، (1981)، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)، الإسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (2002-1422)، الذيل على الروضتين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- أحمد بن محمد التلمساني المقرئ، (1968)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، بيروت، دار صادر.
- الأدفوي، كمال الدين جعفر بن تغلب، (1966)، الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، مصر، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الإسنوي، عبد الرحيم بن الحسن، (2002)، طبقات الشافعية، بيروت، دار الكتب العلمية.
- التنبكتي، أحمد بابا التكروري، (1989-1398)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، طرابلس، منشورات كلية الدعوة الإسلامية.
- التنبكتي، أحمد بابا التكروري، (2000-1421)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، المملكة المغربية، مطبعة فضالة.
- جوهار، محمد، (2005)، المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، المغرب، دار الحديث الحسنية.
- الجيدي، عمر، (1993)، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الرباط، مطبعة المعارف.
- الحجوي، محمد بن الحسن الثعالبي، (1995-1416)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الحصني، محمد أديب آل تقي الدين، (1979-1399)، منتخبات التواريخ لدمشق، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- الحميري، نشوان بن سعيد، (1999)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (1995)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر.
- خلفات، مفتاح، (2011)، قبيلة زاوية بالمغرب الأوسط: ما بين القرنين (06-09هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، تيزي وزو، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع.
- الداودي، محمد بن علي أحمد، (بلا تاريخ)، طبقات المفسرين، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الذهبي، محمد بن أحمد قايماز، (1987-1407)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الذهبي، محمد بن أحمد قايماز، (1985)، سير أعلام النبلاء، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- الرصاع، محمد بن قاسم، (1993)، شرح حدود ابن عرفة، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

- الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، (2002)، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين.
- السبكي، عبد الوهاب بن تقي الدين، (1413)، طبقات الشافعية الكبرى، مصر، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.
- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (بلا تاريخ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت، دار مكتبة الحياة.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (1387-1967)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، مصر، دار إحياء الكتب العلمية.
- الشاذلي، محمد النيفر، (بلا تاريخ)، مقدمة تراجم خليل لعظوم والطرق التقريبية للفقهاء.
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، (بلا تاريخ)، الإفادات والإنشادات.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (1418-1998)، أعيان العصر وأعوان النصر، بيروت، دار الفكر المعاصر.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، (1428-2007)، نكت الهميان في نكت العميان، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد، (1421-2000)، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، دمشق، دار الشهاب.
- الغبريني، أحمد بن أحمد، (1979)، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، بيروت، دار الآفاق الجديدة.
- قاسم، علي سعد، (1423-2002)، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دبي، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث.
- القرافي شهاب الدين أحمد بن إدريس، (1418-1998)، الفروق أو أنوار البروق في أنوار الفروق، بيروت، دار الكتب العلمية.
- كُزْد علي، محمد بن عبد الرزاق، (1403-1983)، خطط الشام، دمشق، مكتبة النوري.
- محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمد القرشي، (بلا تاريخ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، كراتشي، مير محمد كتب خاانه.
- مخلوف، محمد بن محمد، (1424-2003)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لبنان، دار الكتب العلمية.
- المقرئزي، أحمد بن علي، (1418-1998)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، بيروت، دار الكتب العلمية.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، (1401-1981)، التكملة لوفيات النقلة، بيروت، مؤسسة الرسالة.
- المؤيد، إسماعيل بن علي بن شاهنشاه، (بلا تاريخ)، المختصر في أخبار البشر، مصر، المطبعة الحسينية.
- النعيمي، عبد القادر بن محمد، (1410-1990)، الدارس في تاريخ المدارس، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي، (1985)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الونشريسي، أحمد بن يحيى، (1401-1981)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية

والأندلس والمغرب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية.

6. الهوامش والإحالات:

- 1 - ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد البرمكي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، دط، (1968م)، ج3، ص248.
- 2 - الأدفوي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن تغلب، الطالع السعيد، الجامع أسماء نجباء الصعيد، ت: سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، سنة 1966، ص353.
- 3 - الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، (1995م)، ج2، ص491.
- 4 - إسنّا أو أسنا: هي مدينة صغيرة من أعمال القوصية بأقصى الصعيد الأعلى من مصر، على شاطئ النيل من الجانب الغربي. [ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص250، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص189].
- 5 - الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، (1407هـ، 1987م)، ج47، ص319.
- 6 - المؤيد، إسماعيل بن علي بن شاهنشاه، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، مصر، ط1، دت، ج3، ص178.
- 7 - الذهبي، محمد بن أحمد بن قايماز، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1405هـ، 1985م)، ص265، ابن تغري، يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (دط، دت)، ج7، ص(421، 422).
- 8 - مخلوف، محمد بن محمد بن عمر، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، (1424هـ، 2003م)، ج1، ص241.
- 9 - أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي، الذيل على الروضتين، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1422هـ، 2002م)، ص281.
- 10 - ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تبصير المتنبه بتحرير المشتبه، تحقيق: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، (دط، دت)، ج1، ص34، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، (1387هـ، 1967م)، ج1، ص455.
- 11 - السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، (1413هـ)، ج7، (270، 272)، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، نكت الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1428هـ، 2007م)، ص213.
- 12 - المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، (1401هـ، 1981م)، ج2، ص162.
- 13 - ابن الديبشي، أبو عبد الله محمد بن سعيد، ذيل تاريخ مدينة السلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1427هـ، 2006م)، ج2، ص(162، 163)، محيي الدين الحنفي، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، الجواهر المضئية في طبقات الحنفية، الناشر: مير محمد كتب خان، باكستان، (دط، دت)، ج2، ص(147، 148).
- 14 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج8، ص352.
- 15 - المقرئزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1418هـ، 1998م)، ج4، ص205.
- 16 - الأدفوي، الطالع السعيد، ص353.
- 17 - الزاوية المالكية: من مدارس المالكية بالجامع الأموي بدمشق، وهي ملاصقة المقصورة الحنفية من غربي الجامع

- الأموي، وقفها السلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى. [النعمي، عبد القادر بن محمد، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (1410هـ، 1990م)، ج2، ص3].
- 18 - المدرسة النورية الصلاحية المالكية: هي مدرسة للمالكية أسسها نور الدين زنكي بدمشق في سنة 563هـ، وأتم بناءها صلاح الدين الأيوبي، تقع بخط الخواصين، وهي من أقدم المدارس وأعرقها. ينظر: [الطرسوسي، إبراهيم بن علي بن أحمد، تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم الحمداوي، دار الشهاب، دمشق، ط1، (1421هـ، 2000م)، ص67، كُرد علي، محمد بن عبد الرزاق، خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق، ط3، (1403هـ، 1983م)، ج6، ص96].
- 19 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص248، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص265.
- 20 - الداوودي، محمد بن أحمد، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، بيروت، (دط، دت)، ج1، ص(316، 328).
- 21 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص250، ابن تغري، المنهل الصافي، ج7، ص421.
- 22 - ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي اليعمري، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق: محمد الأحمد، دار التراث، القاهرة، (دط، دت)، ج1، ص(243-246)، ج2، ص328.
- 23 - الغبريني، أحمد بن أحمد، عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة بيجاية، تحقيق: عادل نويهض، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، (1979م).
- 24 - ابن تغري، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، ج2، ص(185-187)، مخلوف، شجرة النور، ج1، ص270.
- 25 - ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص123، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج22، ص90.
- 26 - الإسنوي، جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي، طبقات الشافعية، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، (2002م)، ج2، ص99.
- 27 - ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص86.
- 28 - ابن أبي شامة، الذيل على الروضتين، ص280، 281.
- 29 - ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص248.
- 30 - ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص87.
- 31 - القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس الصنهاجي، الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، (1418هـ، 1998م)، ج1، ص110.
- 32 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج3، ص365.
- 33 - الأدفوي، الطالع السعيد، ص353.
- 34 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، (1408هـ، 1988م)، ج13، ص206.
- 35 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص264، 265.
- 36 - مخلوف، شجرة النور، ج1، ص241.
- 37 - أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص281، ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص206.
- 38 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص234.
- 39 - الأدفوي، الطالع السعيد، ص354.
- 40 - ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص206، النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص3.
- 41 - المقرئ، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، (1968م)، ج5، ص430.

- 42 - ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد الإدريسي الحسني، أزهار البستان في طبقات الأعيان، تقديم: الأستاذ عبد السلام عمران الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، (1971م)، ص 110.
- 43 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 9، ص 237.
- 44 - ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، كشف النقاب الحاجب على مختصر ابن الحاجب، تحقيق: حمزة أبو فارس وغيره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، (1990م)، ص 161.
- 45 - ينظر: الشاذلي، محمد النيفر، مقدمة تراجم خليل لعظوم والطرق التقريبية للفقه، ص 102.
- 46 - ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر المشهور بمقدمة ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، (1408هـ، 1988م)، ج 1، ص 571.
- 47 - ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، طبقات الشافعية، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط 1، (1407هـ)، ج 2، ص 229.
- 48 - التنبكتي، أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهراسة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط 1، (1398هـ، 1989م)، ص 392.
- 49 - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، أعيان العصر وأعوام النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد وغيره، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 1، (1418هـ، 1998م)، ج 3، ص 723، الحبشي، عبد الله محمد، جامع الشروح والحواشي، معجم شامل لأسماء الكتب المشروحة في التراث الإسلامي وبيان شروحها، المجمع الثقافي، أبو ظبي، (1425هـ، 2004م)، ج 2، ص 714.
- 50 - الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 15، (2002م)، ج 7، ص 128.
- 51 - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الهند، ط 2، (1392هـ، 1972م)، ج 5، ص 164.
- 52 - ابن مريم، المليتي المديوني التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، اعتنى بمراجعة أصله: الشيخ محمد ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، (1336هـ، 1908م)، ص 189، التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 455.
- 53 - التنبكتي، أبو العباس أحمد بابا التكروري، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، دط، (1421هـ، 2000م)، ج 2، ص 94.
- 54 - التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص 34، قاسم، علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، ط 1، (1423هـ، 2002م)، ص 63.
- 55 - المصدر نفسه، ج 1، ص 372.
- 56 - السخاوي، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، (دط، دت)، ج 4، ص 152، مخلوف، شجرة النور الزكية، ج 1، ص 382.
- 57 - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 393.
- 58 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 9، ص 234.
- 59 - ابن فرحون، الديباج المذهب، ج 2، ص 88.
- 60 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج 1، ص 570.
- 61 - المَرِيَّة: مدينة كبيرة من كورة البيرة من أعمال الأندلس، تقع في جنوب شرق إسبانيا، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة 344هـ، تعد مركزاً للتجارة ومنها يركب التجار. ينظر: [أبو الفضل، محمد أحمد، تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، دط، (1981م)، ص 15].

- 62 - ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، درة الحجال في أسماء الرجال، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط1، (1391هـ، 1971م)، ج2، ص101، التنبكتي، نيل الابتهاج، ص390.
- 63 - الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، الإفادات والإنشادات، (دط، دت)، ص19.
- 64 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص571، محفوظ، محمد، تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، (1994م)، ج2، ص331.
- 65 - السخاوي، الضوء اللامع، ج7، ص8.
- 66 - المصدر نفسه، ج10، ص55.
- 67 - ينظر: الجيدي، عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، (1993م)، ص98.
- 68 - الوزير السراج، محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، (1985م)، ج2، ص248.
- 69 - ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص(727-728).
- 70 - الحصني، محمد أديب آل تقي الدين، منتخبات التواريخ لدمشق، تقديم: كمال سليمان الصليبي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، (1399هـ، 1979م)، ج1، ص17.
- 71 - ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص570.
- 72 - الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص458.
- 73 - المقري، نفح الطيب، ج5، ص250.
- 74 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص53.
- 75 - المصدر نفسه، ص105.
- 76 - المصدر نفسه، ص262.
- 77 - الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: الدكتور محمد حجي، (دط، دت)، ج1، ص(142-144).
- 78 - ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: د حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، (1389هـ، 1969م)، ج2، ص306.
- 79 - ينظر: خلفات، مفتاح، قبيلة زاوارة بالمغرب الأوسط: ما بين القرنين (06-09هـ/12-15م) دراسة في دورها السياسي والحضاري، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، دط، (2011م)، ص289.
- 80 - التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، ص248.
- 81 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص87.
- 82 - ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، ص570.
- 83 - ينظر: ابن عبد السلام، محمد بن إسحاق الأموي، التعريف بالرجال المذكورين في جامع الأمهات لابن الحاجب، مقدمة المحقق، تحقيق: حمزة أبو فارس، محمد أبو الأجفان، دار الحكمة للطباعة والنشر، طرابلس، ط1، (1994م)، ص(38، 39).
- 84 - ينظر: الرصاع، محمد بن قاسم الأنصاري، شرح حدود ابن عرفة الموسوم الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية، تحقيق: محمد أبو الأجفان وغيره، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1993م)، ج1، ص(40، 42).
- 85 - ابن عاشور، محمد الفاضل، ومضات فكر، الدار العربية للكتاب، تونس، دط، (1982م)، ص75.
- 86 - من الفعل ثَنَّنْ وثَأَفَّنْ مثافنة: يقال: ثَأَفَّنْتُ فلانا: أي لازمته حتى عرفت حقيقة أمره. ينظر: الحميري، نشوان بن سعيد اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري وغيره، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1،

- (1999م)، ج2، ص854.
- 87 - الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، مقدمة المحقق، ج1، ص43.
- 88 - ابن عاشور، ومضات فكر، ص75.
- 89 - الرصاع، شرح حدود ابن عرفة، مقدمة المحقق، ج1، ص40.
- 90 - المصدر نفسه، ج2، ص656.
- 91 - الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص(189-271).
- 92 - ينظر: الشاذلي، مقدمة تراجم خليل لعظوم، ص102.
- 93 - السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج9، ص234.
- 94 - ينظر: جواهر، محمد، المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، إشراف د السعيد بوكبة، (بحث لنيل الدكتوراه)، نوقش بدار الحديث الحسنية، المغرب، (2005م)، ص769.
- 95 - الحجوي، الفكر السامي، ج2، ص271.
- 96 - ينظر: جواهر، المختصرات الفقهية في المذهب المالكي، ص(58، 59).
- 97 - التنبكتي، نيل الابتهاج، ص538.
- 98 - السخاوي، الضوء اللامع، ج8، ص290.